

أحكام سجود الشكر

لفضيلة الشيخ الدكتور : سعد الختلان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

الشكر معناه في اللغة : ظهور أثر الغذاء في بدن الحيوان ظهوراً بيناً يقال : «شكرت الدابة إذا ظهر عليها أثر العلف» ودابة شكور إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وما تعطى من العلف قال ابن القيم رحمه الله: «وكذلك حقيقته في العبودية فهو ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده ثناءً واعترافاً وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة» فحقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة باللسان والإقرار بها بالقلب والقيام بطاعة المنعم بالجوارح فتعتقد بقلبك أن النعمة من الله وتنطق بذلك بلسانك كما قال سبحانه : **(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)** [الضحى: ١١] وتقوم بطاعة الله تعالى المنعم بها بجوارحك . قال ابن القيم رحمه الله : «والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره» فهذه الخمس هي أساس الشكر وبنائه عليها فمتى عدم منها واحد اختل من قواعد الشكر قاعدة وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور .

ومنزلة الشكر في الدين من أعلى المنازل قال ابن القيم رحمه الله : «هي فوق منزلة الرضا وزيادة» فالرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه وقد أمر الله سبحانه بالشكر فقال : **(وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)** [النحل: ١١٤]. ونهى عن ضده فقال : **(وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)** [البقرة: ١٥٢]. وأثنى على أهله ووصف به خواص خلقه فقال عن خليفه إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [النحل: ١٢٠-١٢١]. وقال عن نوح عليه الصلاة والسلام : **(إِنَّهُ كَانَ**

عَبْدًا شُكُورًا) [الإسراء:٣]. ووعده أهله بأحسن الجزاء فقال: (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران:١٤٤]. وجعله سبباً للمزيد من فضله وحارساً وحافظاً لنعمته فقال: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم:٧]. وأخبر بأن أهله هم المنتفعون بآياته فقال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [إبراهيم:٥]. وجعل الشكر سبباً لأن يكون الشاكر مشكوراً فقال: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) [الإنسان:٢٢]. وأخبر عن رضى الرب به فقال: (وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) [الزمر:٧]. وأخبر عن قلة أهله في العالمين فقال: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ:١٣]. وقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه فتقول له عائشة لما تفعل هذا يا رسول الله فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول يا عائشة: «أفلا أكون عبداً شكوراً» ووصى عليه الصلاة والسلام معاذاً فقال: «يا معاذ والله إنني لأحبك فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وصح عنه صلى الله عليه وسلم كما عند أحمد والترمذي وغيرهما أنه عليه الصلاة والسلام كان يسأل الله عز وجل بأن يكون له شاكراً، وصح عنه أنه كان يدعوا بكلمات ومنها: «اللهم اجعلني لك شاكراً لك ذكراً».

وبعد هذه المقدمة ننتقل للكلام عن نوع خاص من أنواع الشكر وهو سجود الشكر والأصل فيه حديث أبي بكرة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه أمر يسر به خر ساجداً» أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وقد سجد كعب بن مالك رضي الله عنه لما بشر بتوبة الله عليه كما في قصة الثلاثة اللذين خلفوا وهي في الصحيحين وغيرهما ، وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه سجد لما بشر بفتح اليمامة ومقتل مسيلمة ، وسجد علي رضي الله عنه حين وجد ذا الثدية في الخوارج اللذين قاتلهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأنه يكون فيهم .

وسبب سجود الشكر: تجدد النعم أو اندفاع النقم فهو سجود لله تعالى شكراً له على تجدد النعمة أو اندفاع النعمة فتكون الإضافة في قولنا سجود الشكر من باب إضافة الشيء إلى نوعه كما تقول «خاتم حديد» لأن هذا السجود هو نوع من الشكر .

وسجود الشكر إنما يشرع عند تجدد النعم أو اندفاع النقم وقولنا عند تجدد النعم احتراز من النعم المستمرة فإنه لو قيل بمشروعية السجود عندها لكان الإنسان دائماً في سجود لأن الله تعالى يقول : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ) [النحل: ١٨] وما أكثر نعم الله تعالى على الإنسان فسلامة السمع نعمة، وسلامة البصر نعمة، وسلامة النطق نعمة إلى غير ذلك من النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى . ولم ترد السنة بالسجود لمثل هذه النعم المستمرة ولهذا نقل الماردوي رحمه الله في الإنصاف عن بعض الفقهاء أنه قال : «إنما يستحب السجود عند تجدد نعمة أو دفع نقمة ظاهرة لأن العقلاء يهتئون بالسلامة من العارض ولا يفعلونه في كل ساعة وإن كان الله تعالى يصرف عنهم البلاء والآفات ويمتعهم بالسمع والبصر والعقل والدين ، ويفرقون في التهنئة بين النعمة الظاهرة والباطنة وكذلك السجود للشكر .

ومن أمثلة تجدد النعم التي يشرع سجود الشكر لها : لو بشر الإنسان بولد فهذه نعمة متجددة فيشرع السجود لها ، أو أنه سمع مثلاً بانتصار للمسلمين في أي مكان فهذه نعمة متجددة ، أو أنه نجح في اختبار ما وهو مشفق أن لا ينجح فيه وهكذا .

وأما قولنا أو اندفاع النقم : فالمقصود بها النقم التي وجد سببها فسلم منها .

مثال ذلك: رجل حصل له حادث سيارة مثلاً وانقلبت السيارة وخرج سالماً فيشرع له السجود في هذه الحال لأن هذه النعمة قد وجد سببها وهو هذا الحادث وانقلاب السيارة ولكنه سلم منه .

مثال آخر : إنسان احترق بيته فيسر الله تعالى إطفاء هذا الحريق وسلم هو وجميع أفراد أسرته فهذا اندفاع نقمة فيشرع له أن يسجد لله تعالى شكراً والأمثلة في هذا كثيرة .

والمقصود أنه يشرع السجود عند اندفاع النقم التي انعقد سببها فسلم منها وأما اندفاع النقم المستمر فلا يمكن إحصاؤه ولو قيل يشرع السجود له لكان الإنسان دائماً في سجود .

وأما صفة سجود الشكر فهو كصفة سجود التلاوة و المشروع أن يقال فيه ما يقال في سجود صلب الصلاة كما نص على ذلك الإمام أحمد وغيره فيقول :

«سبحان ربي الأعلى» ويكررها ويقول : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» وإن قال بعد ذلك شيئاً مما ورد كان حسناً.

وقد اختلف العلماء في سجود التلاوة هل هو صلاة أو ليس بصلاة ؟ وهذا الخلاف يجري كذلك على سجود الشكر والراجح عند كثير من المحققين من أهل العلم أنه ليس بصلاة وبناء على ذلك يكون القول الراجح في سجود الشكر أنه ليس بصلاة كذلك فيصح أن يسجد الإنسان عند تجدد نعمة أو عند اندفاع نقمة ولو كان على غير طهارة ولو إلى غير القبلة .

اسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين له كثيرا ، وأن يرزقنا الفقه في الدين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.